دفاتر طالب العلم

لتقييد الفوائد

متون علمية مذيلة بالحواشي

العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الخلائق طالقة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام أبو زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي رحمه الله:

الحمد لله خالق المصنوعات، وبارئ البريات، ومدبر الكائنات، ومصرف الألسن الناطقات، مفضل لغة العرب على سائل اللغات، المنزل كتابة والمرسل رسوله وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم بها تنويها بشأنها، وتعريفا بعظم محلها وارتفاع مكانها، أحمده أبلغ الحمد وأكمله، وأزكاه وأشمله

وأشهد ألا إله إلا الله اللطيف الكريم الرؤوف الرحيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله صلى الله عليه وسلم، وعلى سائر النبيين وآل كل، وسائر الصالحين.

أما بعد:

فصل: (ابتداء التاريخ)

ابتدأ التاريخ في الإسلام من هجرة رسول الله –صلى الله عليه وسلم –من مكة إلى المدينة، وهذا مجمع عليه، وأول مَن أرّخ بالهجرة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، سنة سبع عشرة من الهجرة. وهذه أحرف في بيان جملة من الأمور المشهورة في كل سنة من سني الهجرة إلى وفاة رسول الله –صلى الله عليه وسلم –على ترتيب السنين، وهي عشر سنين:

الأولى :فيها بنى النبي -صلى الله عليه وسلم -مسجده ومساكنه، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وأسلم عبد الله بن سلام، وشرع الأذان.

السنة الثانية :فيها حولت القبلة إلى الكعبة بعد ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا من الهجرة في شعبان، وفيها فرض صوم رمضان شهره، وفيها فرضت صدقة الفطر، وفيها كانت غزوة بدر في رمضان، وفى شوال منها بنى بعائشة، وفيها تزوج علىٌ فاطمة.

الثالثة :فيها غزوات وسرايا، منها غزوة أُحُد يوم السبت السابع من شوال، ثم غزوة بدر الصغرى لهلال ذي القعدة، وفيها غزوة النضير، وحُرمت الخمر بعد أُحُد، وتزوج فيها حفصة، وتزوج عثمان أم كلثوم، وولد الحسن بن على.

الرابعة :فيها تزوج أم سلمة، وقصرت الصلاة، ونزل التيمم، وفيها غزوة الخندق، وقيل :الخندق في سنة خمس، والصحيح أنه سنة أربع، ففي الصحيحين عن ابن عمر، رضى الله عنهما، قال: عُرضت على النبي -صلى الله عليه وسلم -يوم أُحُد وأنا ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزني، وعُرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني. وقد أجمعوا على أن أُحُدًا في الثالثة، ويقال لها: الخندق، والأحزاب، وكان حصار الأحزاب المدينة خمسة عشر يومًا، ثم هزمهم الله عز وجل، وأرسل عليهم ريحًا وجنودًا، وقيل: أن غزاة ذات الرقاع فيها، والأرجح أنها في سنة خمس، وهو أول صلاة الخوف، وفيها قتل القراء ببئر معونة، رضى الله عنهم.

الخامسة :فيها غزاة دومة الجندل، وقريظة، ونزل الحجاب.

السادسة :فيها غزاة الحديبية، وبيعة الرضوان، وغزوة بني المصطلق، وكسفت الشمس، ونزل الظهار.

السابعة :فيها غزوة خيبر، والهدنة، وهو الصلح مع أهل مكة، والقضاء، ويقال لها أيضًا: عمرة القضاء، وعمرة القضية أيضًا، وفيها هاجر خالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة سادن الكعبة، فلقوا عمرو بن العاص واصطحبوا وأسلموا ثلاثتهم، وتزوج أم حبيبة، وميمونة، وصفية، وجاءته مارية، وبغلته دُلْدُلُ، وقدم جعفر وأصحابه من الحبشة، وأسلم أبو هريرة.

الثامنة :فيها غزوة مؤتة، وذات السلاسل، وفتح مكة في رمضان، وولد إبراهيم، وتوفيت زينب بنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم –، وفيها غزوة حنين، والطائف، وفيها غلا السعر، فقالوا: سعر لنا، فأجابهم بقوله : "المسعر هو الله."

التاسعة :فيها غزوة تبوك، وحج أبو بكر، رضى الله عنه، بالناس، وتوفيت أم كلثوم، والنجاشي، رضى الله عنهما، وتتابعت الوفود.

العاشرة :فيها حج رسول الله –صلى الله عليه وسلم –حجة الوداع، وتوفى إبراهيم ابن النبي –صلى الله عليه وسلم –، وأسلم جرير، ونزل [إِذَا جَاء نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ] {النصر: 1}

وهذا حين أشرع في مقصود الكتاب مستعينا بالله الكريم الوهاب، مبتدئا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم من اسمه، محمد لشرف اسمه، ثم أعود إلى ترتيب الحروف المشروطة في الخطبة .

نسبه –صلى الله عليه وسلم–

هو–صلى الله عليه وسلم–محمد، رسول الله–صلى الله عليه وسلم–ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. إلى هنا إجماع الأمة، وأما ما بعده إلى آدم فمختلف فيه أشد اختلاف. قال العلماء: ولا يصح فيه شيء يعتمد. وقُصي بضم القاف، ولؤي بالهمز وتركه، وإلياس بهمزة وصل، وقيل: بهمزة قطع.

كناه وأسماؤه –صلى الله عليه وسلم–

وكنية النبي–صلى الله عليه وسلم–المشهورة: أبو القاسم. وكناه جبريل–صلى الله عليه وسلم–أبا إبراهيم. ولرسول الله–صلى الله عليه وسلم–أسماء كثيرة' أفرد فيها الإمام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي الدمشقي، المعروف بابن عساكر رحمه الله بابًا في تاريخ دمشق، ذكر فيه أسماء كثيرة، جاء بعضها في الصحيحين، وباقيها في غيرهما، منها: محمد، وأحمد، والحاشر، والعاقب، والمقفى، والماحي، وخاتم النبيين، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة – وفي رواية: نبي الملاحم –، ونبي التوبة، والفاتح، وطه، وياسين، وعبد الله.

قال الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي رحمه الله: «زاد بعض العلماء فقال: سماه الله عز وجل في القرآن: رسولاً، نبيًا، أميًّا، شاهدًا، مبشرًا، نذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، ورؤوفا، رحيمًا، ومذكرًا، وجعله رحمة ونعمة، وهاديًا، -صلى الله عليه وسلم-. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «اسمي في القرآن محمد، وفي الإنجيل أحمد، وفي التوراة أحيد، وإنما سميت أحيد لأني أحيد عن أمتي نار جهنم». قلت: وبعض هذه المذكورات صفات، (فإطلاقهم الأسماء عليها مجاز). وقال الإمام الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه «الأحوذي في شرح الترمذي»: «قال بعض الصوفية: لله عز وجل ألف اسم، وللنبي-صلى الله عليه وسلم-ألف اسم». قال ابن العربي: «فأما أسماء الله عز وجل فهذا العدد حقير فيها، وأما أسماء النبي-صلى الله عليه وسلم-فلم أحصها إلا من جهة الورود الظاهر بصيغة الأسماء البينة، فوعيت منها أربعة وستين اسمًا» ثم ذكرها مفصلة مشروحة فاستوعب وأجاد. ثم قال: «وله وراء هذا أسماء».

أمه –صلى الله عليه وسلم–

وأمُّ النبي–صلى الله عليه وسلم–آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بين مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

ولادته –صلى الله عليه وسلم–

ولد رسول الله–صلى الله عليه وسلم–عام الفيل، وقيل: بعده بثلاثين سنة. قال الحاكم أبو أحمد: «وقيل: بعده بأربعين سنة، وقيل: بعده بعشر سنين». رواه الحافظ أبو القاسم بن عساكر في «تاريخ دمشق». والصحيح المشهور: أنه (ولد) عام الفيل. ونقل إبراهيم بن المنذر الحزامي، شيخ البخاري، وخليفة بن خياط وآخرون الإجماع عليه، واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول. واختلفوا هل هو في اليوم الثاني، أم الثامن، أم العاشر، أم الثاني عشر؟ فهذه أربعة أقوال مشهورة.

وفاته –صلى الله عليه وسلم–

وتوفي–صلى الله عليه وسلم–ضحى يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، سنة إحدى عشرة من الهجرة، ومنها ابتداء التاريخ كما سبق.

دفنه وعمره –صلى الله عليه وسلم–

ودفن يوم الثلاثاء حين زالت الشمس، وقيل: ليلة الأربعاء. وتوفي–صلى الله عليه وسلم–وله ثلاث وستون سنة، وقيل: خمس وستون سنة، وقيل: ستون سنة، والأول أصح وأشهر، وقد جاءت الأقوال الثلاثة في الصحيح. قال العلماء: الجمع بين الروايات أن من روى ستين لم يعد معها الكسور، ومن روى خمسًا وستين عد سنتي المولد والوفاة، ومن روى ثلاثًا وستين لم يعدهما. والصحيح ثلاث وستون، وكذا الصحيح في سن أبي بكر، وعمر، وعلى وعائشة –رضي الله عنها–ثلاث وستون سنة. قال الحاكم أبو أحمد – وهو شيخ الحاكم أبي عبد الله – يقال وُلد النبي–صلى الله عليه وسلم–يوم الاثنين ونبئ يوم الاثنين، وهاجر من مكة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين.

وروي أنه-صلى الله عليه وسلم-ولد مختونًا مسرورًا .وكفن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في ثلاثة أثواب بيض، ليس فيها قميص ولا عمامة، ثبت ذلك في الصحيحين. قال الحاكم أبو أحمد: «ولما أدرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، في أكفانه وضع على سريره على شفير القبر، ثم دخل الناس أرسالاً يصلون عليه فوجًا فوجًا، لا يؤمهم أحد، فأولهم صلاة عليه العباس، ثم بنو هاشم، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم سائر الناس، فلما فرغ الرجال دخل الصبيان، ثم النساء، ثم دفن-صلى الله عليه وسلم-ونزل في حفرته العباس، وعلي، والفضل وقثم ابنا العباس، وشقران». قال: «ويقال كان أسامة بن زيد وأوس بن خولي معهم». ودفن في اللحد، وبني عليه، -صلى الله عليه وسلم-في لحده اللبن، يقال: إنها تسع لبنات، ثم أهالوا التراب، وجعل قبره-صلى الله عليه وسلم-مسطحًا، ورش عليه الماء رشًا. قال: ويقال نزل المغيرة في قبره ولا يصح.

قال الحاكم أبو أحمد: يقال مات عبد الله والد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولرسول الله-صلى الله عليه وسلم-ثمانية وعشرون شهرًا، وقيل: تسعة أشهر، وقيل سبعة أشهر، وقيل شهران، وقيل: مات وهو حمل، وتوفي بالمدينة. قال الواقدي، وكاتبه محمد بن سعد: لا يثبت أنه توفي وهو حمل. ومات جده عبد المطلب وله ثمان سنين، وقيل ست سنين، وأوصى به إلى أبي طالب. وماتت أم رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وله ست سنين، وقيل أربع (سنين) وماتت بالأبواء – مكان بين مكة والمدينة -. وبعث-صلى الله عليه وسلم-رسولاً إلى الناس كافة وهو ابن أربعين سنة، وقيل أربعين ويومٍ. وأقام بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة، وقيل عشرًا، وقيل خمس عشرة (سنة)، ثم هاجر إلى المدينة، فأقام بها عشر سنين بلا خلاف، وقدم المدينة يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول. قال الحاكم: وبدأ الوجع برسول الله-صلى الله عليه وسلم-في بيت ميمونة، يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر صفر.

فصل

أرضعته -صلى الله عليه وسلم-، ثويبه – بضم المثلثة – مولاة أبي لهب أيامًا. ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث السعدية، وروي عنها أنها قالت: كان يشب في اليوم شباب الصبي في شهر. ونشأ -صلى الله عليه وسلم-يتيمًا فكفله جده عبد المطلب، ثم عمه أبو طالب. وطهره الله عز وجل من دنس الجاهلية فلم يعظم صنمًا لهم في عمره قط، و لم يحضر مشهدًا من مشاهد كفرهم، وكانوا يطلبونه لذلك فيمتنع ويعصمه الله تعالى من ذلك. وفي الحديث: عن علي -رضي الله عنه-أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «**ما عبدت صنمًا قطُّ. وما شربت خمرًا قطُّ. وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر**». وهذا من لطف الله تعالى به أن برأه من دنس الجاهلية ومن كل عيب؛ ومنحه كل خلق جميل؛ حتى كان يعرف في قومه بالأمين؛ لما شاهدوا من أمانته وصدقه وطهارته.

فلما بلغ اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام حتى بلغ بصري، فرآه بحيري الراهب فعرفه بصفته، فجاء وأخذ بيده وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله حجة للعالمين. قالوا: فمن أين علمت هذا؟ قال: إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبق (شجر) ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجدًا، ولا يسجد إلا لنبي، وإنا نجده في كتبنا. وسأل أبا طالب أن يرده خوفًا من اليهود فرده. ثم خرج-صلى الله عليه وسلم-ثانيًا إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها في تجارة لها قبل أن يتزوجها حتى بلغ سوق بصري. فلما بلغ خمسًا وعشرين سنة تزوج خديجة. ولما خرج إلى المدينة مهاجرًا خرج معه أبو بكر الصديق –رض الله عنه- ومولى أبي بكر: عامر بن فهيرة بضم الفاء ودليلهم عبد الله بن الأريقط الليثي، وهو كافر، ولا يعلم له إسلام.

فصل: في صفته -صلى الله عليه وسلم-

كان-صلى الله عليه وسلم-ليس بالطويل البائن، ولا القصير، ولا الأبيض الأمهق، ولا الآدم، ولا الجعد القطط. ولا السبط. وتوفي وليس في رأسه عشرون شعرة بيضاء، وكان حسن الجسم، بعيد ما بين المنكبين. له شعر إلى منكبيه. وفي وقت إلى شحمتي أذنيه. وفي وقت إلى نصف أذنيه، كث اللحية، شثن الكفين، أي غليظ الأصابع. ضخم الرأس والكراديس. في وجهه تدوير، أدعج العينين، طويل أهدابهما، أحمر المآقي. ذا مَسْرُبَة، وهي: الشعر الدقيق من الصدر إلى السرة كالقضيب. إذا مشى تقلع كأنما ينحط من صبب، أي: يمشي بقوة. والصبب: الحدور. يتلألأ وجهه (تلألؤ) القمر ليلة البدر، كأن وجهه القمر. حسن الصوت. سهل الخدين. ضليع الفم، سواء البطن والصدر. أشعر المنكبين والذراعين، وأعالي الصدر، طويل الزندين. رحب الراحة. أشكل العينين، أي: طويل شقيهما. منهوس العقبين – أي قليل لحم العقب – بين كتفيه خاتم النبوة كزرِّ الحجلة أو كبيضة الحمامة.

وكان إذا مشى كأنما تطوى له الأرض، ويجدون في لحاقه وهو غير مكترث. وكان يسدل شعر رأسه، ثم فرقه، وكان يرجله، ويسرح لحيته، ويكتحل بالإثمد كل ليلة في كل عين ثلاثة أطراف عند النوم. وكان أحب الثياب إليه: القميص، والبياض، والحبرة، وهي: ضرب من البرود فيه حمرة. وكان كم قميص رسول الله-صلى الله عليه وسلم-إلى الرسغ. ولبس في وقت حلة حمراء وإزارًا ورداءً، وفي وقت ثوبين (أخضرين). وفي وقت جبة ضيقة الكمين. وفي وقت قباء. وفي وقت عمامة سوداء، وأرخى (طرفيها) بين كتفيه. وفي وقت مرطًا أسود من شعر، أي: كساء. ولبس الخاتم والخف والنعل.

فصل: أولاده -صلى الله عليه وسلم-

له-صلى الله عليه وسلم-ثلاثة بنين: القاسم، وبه كان يُكْنى. ولد قبل النبوة. وتوفي وهو ابن سنتين. **وعبد الله** (ويسمى) الطيب. والطاهر. لأنه ولد بعد النبوة. وقيل: الطيب والطاهر غير عبد الله. والصحيح الأول. **والثالث إبراهيم**. ولد بالمدينة سنة ثمان. ومات بها سنة عشر، وهو ابن سبعة عشر شهرًا، أو ثمانية عشر شهرًا. **وكان له-صلى الله عليه وسلم-أربع بنات: زينب**، تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وهو ابن خالتها، وأمه: هالة بنت خويلد. **وفاطمة**، تزوجها علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-. **ورقية، وأم كلثوم**، تزوجهما عثمان بن عفان، تزوج رقية ثم أم كلثوم، وتوفيتا عنده، ولهذا سمي ذا النورين. توفيت رقية يوم بدر في رمضان سنة اثنتين من الهجرة، وتوفيت أم كلثوم في شعبان سنة تسع من الهجرة. **فالبنات أربع بلا خلاف. والبنون ثلاثة على الصحيح**. وأول من ولد له القاسم، ثم زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، وجاء أن فاطمة رضي الله عنها أسن من أم كلثوم، ذكر ذلك علي بن أحمد بن سعيد بن (حزم) أبو محمد الحافظ، ثم في الإسلام عبد الله بمكة. ثم إبراهيم بالمدينة. وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية، وكلهم توفوا قبله، إلا فاطمة فإنها عاشت بعده ستة أشهر على الأصح الأشهر.

فصل: أعمامه وعماته -صلى الله عليه وسلم-

أعمامه-صلى الله عليه وسلم-أحد (عشر): أحدهم: الحارث، وهو أكبر أولاد عبد المطلب. وبه كان يكنى. وقثم، والزبير، وحمزة، والعباس، وأبو طالب. وأبو لهب. وعبد الكعبة. وحجل – بحاء مهملة مفتوحة، ثم جيم ساكنة -، وضرار، (والغيداق). أسلم منهم حمزة والعباس، وكان حمزة أصغرهم سنًا لأنه رضيع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم العباس قريب منه في السن، وهو الذي كان يلي زمزم بعد أبيه عبد المطلب، وكان أكبر سنًا من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بثلاث سنين.

وعماته-صلى الله عليه وسلم-ست: صفية: أسلمت وهاجرت وهي أم الزبير بن العوام، توفيت بالمدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنها، وهي أخت حمزة لأمه، وعاتكة، قيل: إنها أسلمت، وهي التي رأت رؤيا غزو بدر. وقصتها مشهورة، وبرة، وأروى، وأميمة، وأم حكيم، وهي: البيضاء.

فصل: في أزواجه -صلى الله عليه وسلم-

(أولاهن) خديجة، ثم سودة، ثم عائشة، ثم حفصة، وأم حبيبة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وميمونة، وجويرية، وصفية. وسنذكرهن في تراجمهن إن شاء الله تعالى. وهؤلاء التسع -بعد خديجة - توفي عنهن، ولم يتزوج في حياة خديجة غيرها، ولا تزوج بكرًا غير عائشة. وأما اللاتي فارقهن-صلى الله عليه وسلم-في حياته فتركناهن لكثرة الاختلاف فيهن. وكانت له سُرِّيَّتان: مارية: وريحانه بنت زيد، وقيل: بنت شمعون، ثم أعتقها. روينا عن قتادة قال: تزوج النبي-صلى الله عليه وسلم-خمس عشرة امرأة، فدخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة. وتوفي عن تسع.

فصل: في مواليه -صلى الله عليه وسلم-

منهم: زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أبو أسامة، وثوبان بن بجدد – بضم الموحدة والدال، وإسكان الجيم. وأبو كبشة. واسمه سليم، شهد بدرًا، وباذام، ورويفع، وقصير، وميمون، وأبو بكرة، وهرمز، وأبو صفية عبيد، وأبو سلمى، وأنسة – بفتح الهمزة والنون – وصالح، (وهو) شقران، ورباح – بالموحدة – أسود. ويسار الراعي: نوبي، وأبو رافع، واسمه أسلم. وقيل غير ذلك، (وأبو مويهبة)، وفضالة اليماني، ورافع. ومدعم – بكسر الميم وإسكان الدال وفتح العين المهملتين – أسود. وهو الذي قتل (بخيبر). وكركرة. بكسر الكافين. وقيل بفتحهما. كان على ثقل النبي -صلى الله عليه وسلم-، وزيد: جد هلال بن يسار بن زيد. وعبيدة. وطهمان أو كيسان أو مهران أو ذكوان أو مروان، ومأبور القبطي، (وواقد)، وأبو واقد.

وهشام، وأبو ضميرة، وحنين، وأبو عسيب، واسمه أحمر. وأبو عبيدة وسفينة، (وسلمان) الفارسي، وأيمن ابن أم أيمن، وأفلح، وسابق، وسالم، وزيد بن بولا. وسعيد، (وضميرة)، وعبيد الله بن أسلم، ونافع، ونبيه، ووردان وأبو أثيلة، وأبو الحمراء. **ومن الإماء:** سلمى – بفتح السين – أم رافع، وأم أيمن: بركة بفتح الباء – وهي أم أسامة بن زيد، وميمونة بنت سعد، وخضرة، ورضوى، وأميمة، وريحانة، وأم ضميرة، ومارية. وشيرين وهي أختها، وأم عباس. وكثير من هؤلاء (المذكورين) لهم ذكر في هذه الكتب، وسيأتي بيان أحوالهم في تراجمهم – إن شاء الله تعالى. وأعلم أن هؤلاء الموالي لم يكونوا موجودين في وقت واحد للنبي –صلى الله عليه وسلم–، بل كان كل بعض منهم في وقت، والله أعلم.

فصل: في خدمه -صلى الله عليه وسلم-

منهم أنس بن مالك، وهند، وأسماء ابنا حارثة الأسلميان، وربيعة بن كعب الأسلمي، وكان عبد الله بن مسعود صاحب نعليه إذا قام ألبسه إياهما، وإذا جلي حطهما وجعلهما في ذراعيه حتى يقوم، وكان عقبة بن عامر الجهني صاحب بغلته-صلى الله عليه وسلم-يقود به في الأسفار، وبلال المؤذن، وسعد مولى أبي بكر الصديق، وذو مخمر ويقال: مخبر – بالباء الموحدة – ابن أخي النجاشي، ويقال ابن أخته، ويكير بن (شداخ) الليثي، ويقال بكر، وأبو ذر الغفاري والأسلع بن شريك بن عوف الأعرجي، ومهاجر (مولى أم سلمة-رضي الله عنها-) وأبو السمح.

فصل: في كتابه -صلى الله عليه وسلم-

ذكرهم الحافظ أبو القاسم في «تاريخ دمشق» أنهم ثلاثة وعشرون، وروى ذلك كله بأسانيده.

وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان، وعلى (وطلحة) والزبير، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، ومحمد بن مسلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وأبان بن سعيد بن العاص، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص، وثابت بن قيس، وحنظلة بن الربيع، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن الأرقم، وعبد الله بن زيد بن عبد ربه، والعلاء بن (عقبة)، والمغيرة بن شعبة، والسجل. وزاد غيره: شرحبيل ابن حسنة. قالوا: وكان أكثرهم كتابة: زيد بن ثابت، ومعاوية -رضي الله عنه-.

فصل: في رسله -صلى الله عليه وسلم-

أرسل-صلى الله عليه وسلم-عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، فأخذ كتاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ووضعه على عينيه، ونزل عن سريره، فجلس على الأرض، ثم أسلم حين حضره جعفر بن أبي طالب، وحسن إسلامه. وأرسل دحية بن خليفة الكلبي بكتاب إلى هرقل عظيم الروم. وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس. وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية فقال خيرًا، وقارب أن يسلم، وأهدى لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-مارية القبطية وأختها شيرين، فوهبها رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لحسان بن ثابت.

وأرسل عمرو بن العاص إلى ملكي عمان، فأسلما، وخليا بين عمرو وبين الصدقة، والحكم فيما بينهم، فلم يزل عندهم حتى توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. وأرسل سليط بن عمرو العامري إلى اليمامة إلى هوذة بن علي الحنفي. وأرسل شُجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، ملك البلقاء من أرض الشام. وأرسل المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث الحميري. وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين، فصدق وأسلم. وأرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى جملة اليمن (داعيين) إلى الإسلام، فأسلم عامة أهل اليمن، ملوكهم وسوقتهم.

فصل: في مؤذنيه –صلى الله عليه وسلم–

له–صلى الله عليه وسلم–أربعة من المؤذنين: بلال، وابن أم مكتوم بالمدينة، وأبو محذورة بمكة، وسعد القرظ بقباء، وسيأتي بيان أحوالهم في تراجمهم – إن شاء الله تعالى.

فصل: عمره وحجته وغزواته وسراياه –صلى الله عليه وسلم–

ثبت في الصحيحين أن النبي–صلى الله عليه وسلم–اعتمر أربع عمر بعد الهجرة و لم يحج إلا حجة (واحدة: حجة) الوداع، التي ودع الناس فيها سنة عشر من الهجرة. وغزا بنفسه–صلى الله عليه وسلم–خمسًا وعشرين غزوة، هذا هو المشهور، وهو قول موسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، وأبي معشر، وغيرهم من أئمة السِّير والمغازي، وقيل: سبعًا وعشرين. ونقل أبو عبد الله محمد بن سعد في «الطبقات» الاتفاق على أن غزواته –صلى الله عليه وسلم–، بنفسه سبع وعشرون غزوة، وسراياه ست وخمسون (وعددها) واحدة واحدة مرتبة على حسب وقوعها. قالوا: و لم يقاتل إلا في تسع: بدر، وأحد، والخندق، وبني قريظة، وبني المصطلق، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف، وهذا على قول من قال فتحت مكة عنوة. وقيل: قاتل بوادي القرى، وفي الغابة، وبني النضير، والله أعلم.

فصل: في أخلاقه -صلى الله عليه وسلم-

كان-صلى الله عليه وسلم-أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، وكان أحسن الناس خَلْقًا وخُلقًا، وألينهم كفًا، وأطيبهم ريحًا، وأكملهم حجًا، وأحسنهم عشرة، (وأشجعهم)، وأعلمهم بالله، وأشدهم لله خشية، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتقم لها، وإنما يغضب إذا انتهكت حرمات الله عز وجل فحينئذ يغضب ولا يقوم لغضبه شيء حتى ينتصر للحق، وإذا غضب أعرض وأشاح. وكان خلقه القرآن، وكان أكثر الناس تواضعًا، يقضي حاجة أهله، ويخفض جناحه للضعفة، وما سئل شيئًا قط فقال لا، وكان احلم الناس، وكان أشد حياء من العذراء في خدرها، والقريب والبعيد والقوي والضعيف عنده في الحق سواء.

وما عاب طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه، ولا يأكل متكئًا، ولا على خوانٍ ويأكل ما تيسر، ولا يمتنع من مباح ما، وكان يحب الحلواء والعسل، ويعجبه الدُّبَّاءُ – وهو اليقطين وقال: «**نعم الإدامُ الخلُّ**». «**وفضل عائشة على النساء كفضل الثَّريد على سائر الطعام**». وكان أحب الشاة إليه الذراع، وقال أبو هريرة –رضي الله عنه–: خرج رســـول الله–صلى الله عليه وسلم–من الدنيا و لم يشبع من خبز الشعير، ويعني للعدم. وكان يأتي الشـــهر والشهران ولا يوقد في بيت من بيوته نار. وكان يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، ويكافئ على الهدية، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويعود المريض، ويجيب من دعاه من غني وفقير ودني وشريف، ولا يحقر أحدًا.

وكان يقعد تارة القرفصـــاء وتارة متربعًا، واتكأ في أوقات، وفي كثير من الأوقات أو في أكثرها محتبيًا بيديه ، وكان يأكل بأصـــابعه الثلاث ويلعقهن، ويتنفس في الشراب بالإناء ثلاثًا خارج الإناء. ويتكلم بجوامع الكلم، ويعيد الكلمة ثلاثًا لتفهم، وكلامه بيِّنٌ يفهمه من سمعه، ولا يتكلم من غير حاجة، ولا يقعد ولا يقوم إلا على ذكر الله تعـــالى، وركب الفرس والبعير والحمار والبغلة، وأردف معاذًا خلفه على ناقة وعلى حمار، ولا يدع أحدًا يمشي خلفه. وعصب على بطنه الحجر من الجوع، وكان يبيت هو وأهله الليالي طاوين. وفراشه من أدم، حشوه من ليف، وكان متقللا من أمتعة الدنيا كلها، وقد أعطاه الله – تعالى مفاتيح خزائن الأرض كلها فأبى أن يأخذها واختار الآخرة عليها.

وكان كثير الذكر، دائم الفكر، جل ضحكه التبسم، وضحك في أوقات حتى بدت نواجذه، وهي الأنياب، ويحب الطيب، ويكره الريح الكريهة، ويمزح ولا يقول إلا حقًا ويقبل عذر المعتذر إليه، وكان كما وصفه الله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [سورة التوبة الآية: ١٢٨]. وقال تعالى: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} [جزء من الآية ١٠٣ سورة التوبة].

وكانت معاتبته تعريضًا: «**ما بال أناس يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله تعالى**»، ونحو ذلك، ويأمر بالرفق، ويحث عليه، وينهى عن العنف، ويحث على العفو والصفح، ومكارم الأخلاق، ويحب التيامن في طهوره وتنعله وترجله وفي شأنه كله. وكانت يده اليسرى لخلائه، وما كان من أذى، وإذا نام أو اضطجع؛ اضطجع على جنبه الأيمن مستقبل القبلة.

وكان مجلسه مجلس حلم وحياء، وأمانة وصيانة، وصبر وسكينة. ولا ترفع فيه الأصوات، ولا (تؤبن) فيه الحرم أي: لا تذكر فيه النساء، (يتفاضلون) فيه بالتقوى، ويتواضعون ويوقر الكبار، ويرحم الصغار، ويؤثرون المحتاج، ويحفظون الغريب، ويخرجون أدلة على الخير. وكان يتألف أصحابه، ويكرم كريم كل قوم، ويوليه أمرهم، ويتفقد أصحابه، ولم يكن فاحشًا ولا متفحشًا، ولا يجزي بالسيئة السيئة، بل يعفو ويصفح، ولم يضرب خادمًا ولا امرأة، ولا شيئًا قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا.

ودلائل كل ما ذكرته في الصحيح مشهورة، فقد جمع الله سبحانه وتعالى له-صلى الله عليه وسلم-كمال الأخلاق ومحاسن الشيم. وآتاه علم الأولين والآخرين. وما فيه النجاة والفوز، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا معلم له من البشر، وآتاه (الله) ما لم يؤت أحدًا من العالمين، واختاره على جميع الأولين والآخرين. صلوات الله وسلامه [عليه] دائمين إلى يوم الدين.

ثبت في الصحيح عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-قال: «ما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله، ولقد خدمت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا».

فصل: في معجزات رسول الله-صلى الله عليه وسلم-

لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-معجزات ظاهرات، وأعلام متظاهرات، تبلغ ألوفًا وهي مشهورات.

فمنها: القرآن، المعجزة الظاهرة، والدلالة الباهرة، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، الذي أعجز البلغاء في أفصح الأعصار، وأعياهم أن يأتوا بسورة (مثله)، ولو استعانوا بجميع الخلق. قال الله تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [سورة الإسراء الآية: ٨٨]. فتحداهم بذلك مع (تكاثرهم) وفصاحتهم وشدة عداوتهم وإلى يومنا هذا.

وأما المعجزات غيره فلا يمكن حصرها أبدًا، لأنها كثيرة جدًا ومتجددة متزايدة، ولكن أذكر منها أمثلة: وذلك كانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الماء والطعام، وتسبيح الطعام، وحنين الجذع. وتسليم الحجر، وتكليم الذراع المسمومة، ومشي الشجرة إليه، واجتماع الشجرتين المتباعدتين ورجوعهما إلى مكانيهما، ودرور الشاة الحائل، وردُّه عين قتادة بن النعمان بعد أن ندرت وصارت في يده إلى مكانها، فلم تكن تعرف بعد ذلك، وتفله في عين علي وكان أرمد – فبرئ من ساعته، ومسحه رجل عبد الله بن عتيك فبرأت في الحال. وإخباره بمصارع المشركين يوم بدر: «**هذا مصرع فلان**» فلم يعدو مصارعهم، وإخبراه بقتله أبي بن خلف، وإخباره بأن طائفة من أمته يغزون البحر، وأن أم حرام منهم، فكان كذلك، وبأنه يفتح على أمته ما زوي له من مشارق الأرض ومغاربها، وبأن كنوز كسرى تنفقها أمته في سبيل الله عز وجل وبأنه يخاف على أمته ما يفتح عليهم من زهرة الدنيا، وبأن خزائن فارس والروم تفتح لنا، وبأن سراقة بن مالك يسور بسواري كسرى.

وبأن الحسن بن علي يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وبأن سعد بن أبي وقاص يعيش حتى ينتفع به أقوام ويضر به آخرون، وبأن النجاشي مات يومكم هذا وهو بالحبشة، وبأن الأسود العنسي قتل ليلتكم هذه وهو باليمن، وبأن المسلمين يقاتلون الترك: صغار الأعين، عراض الوجوه، ذلف الأنوف، وبأن اليمن تفتح عليكم والشام والعراق.

وبأن المسلمين يجندون ثلاثة أجناد: جندًا بالشام، وجندًا باليمن، وجندًا بالعراق، وبأنهم يفتحون مصر: أرضًا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحما، وبأن أويسًا القرني يقدم عليكم في أمداد أهل اليمن، كان به برص فبرأ منه إلا قدر درهم، فقدم كذلك على عمر.

وبأن طائفة من أمته على الحق، وبأن الناس يكثرون، وبأن الأنصار يقلون، وبأن الأنصار يلقون بعده أثرةً، وبأن الناس لا يزالون يسألون حتى يقولوا هذا: «**خلق الله الخَلْق**...» الحديث، وبأن رويفع بن ثابت تطول به الحياة، وبأن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية، وبأن هذه الأمة ستفترق، وبأنه سيكون بينهم قتال.

وبأنه ستخرج نار من أرض الحجاز، وأشباه هذا، فوقعت كلها كما (أخبر) -صلى الله عليه وسلم-، واضحة جلية، وقال لثابت بن قيس: «**تعيش حميدًا. وتقتل شهيدًا**». فعاش حميدًا، واستشهد باليمامة، وقال لعثمان: «**تصيبه بلوى شديدة**»، وقال في رجل من المسلمين يقاتل قتالاً شديدًا: «**وإنه من أهل النار**» فقتل نفسه، وجاءه وابصة بن معبد يسأله عن البر والإثم، فقال: «**جئت تسأل عن البر والإثم؟**». وقال لعلي والزبير والمقداد: «**اذهبوا إلى روضة خاخ، (فإن بها) ظعينة معها كتاب**»، فوجدوها، فأنكرته، ثم أخرجته من عقاصها.

وقال لأبي هريرة حين سرق الشيطان التمر: «**إنه سيعود**» فعاد. وقال لأزواجه: «**أَطْوَلُكُنَّ يدًا أَسْرَعُكُنَّ لحاقًا بي**». فكان كذلك، وقال لعبد الله بن سلام: «**أنت على الإسلام حتى تموت**»، ودعا-صلى الله عليه وسلم-لأنس بأن يكثر ماله وولده ويطول عمره فكان كذلك؛ عاش فوق مائة سنة، و لم يكن أحد من الأنصار أكثر مالاً منه، ودفن من أولاده الذكور لصلبه مائة وعشرين ابنًا قبل قدوم الحجاج، سوى غيرهم وهذا مصرح به في صحيح البخاري وغيره.

ودعا-صلى الله عليه وسلم-أن يعز الله الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل، فأعزه الله بعمر -رضي الله عنه- ودعا على سراقة بن مالك؛ فارتطمت به فرسه في جلد من الأرض وساخت قوائمها فيها، فناداه بالأمان وسأله الدعاء له، ودعا لعلي أن يذهب الله عنه الحر والبرد، فلم يكن يجد حرًا ولا بردًا. ودعا لحذيفة ليلة بعثه يأتي بخبر الأحزاب ألا يجد بردًا، فلم يجده حتى رجع، ودعا لابن عباس أن يفقهه الله في الدين، فكان كذلك، ودعا على عتبة بن أبي لهب أن يسلط الله عليه كلبًا من كلابه فقتله الأسد بالزرقاء.

ودعا بنزول المطر حين سألوه ذلك (لقحط) المطر، و لم يكن في السماء قزعة، فثار سحاب أمثال الجبال، ومطروا إلى الجمعة الأخرى حتى (سألوه برفعه)، فدعا فارتفع وخرجوا يمشون في الشمس، ودعا لأبي طلحة وامرأته أم سليم أن يبارك الله لهما في ليلتهما، فكان كذلك، فحملت فولدت عبد الله، فكان من أولاده تسعة كلهم علماء، ودعا لأم أبي هريرة -رضي الله عنه- بالهداية فذهب أبو هريرة فوجدها تغتسل وقد أسلمت، ودعا لأم قيس بنت محصن أخت عكاشة بطول العمر. فلم نعلم امرأة عمرت ما عمرت – رواه النسائي في باب غسل الميت. ورمى الكفار يوم حنين بقبضة من تراب، وقال: «**شاهت الوجوه**». فهزمهم الله تعالى وامتلأت أعينهم ترابًا، وخرج على مائة من قريش ينتظرونه ليفعلوا به مكروهًا. فوضع التراب على رءوسهم ومضى و لم يروه.

فصل: في أفراسه ودوابه وسلاحه –صلى الله عليه وسلم–

كان (لرسول الله) –صلى الله عليه وسلم–أفراس:

فأول فرس ملكه: السَّكْب – بفتح السين المهملة وإسكان الكاف و (بالموحدة) – وكان أَغَرَّ مُحَجَّلاً. طلق (اليمين). وهو أول فرس غزا عليه. وفرس آخر يقال له: (سبحة)، وهو الذي سابق عليه فسبق. وفرس آخر يقال له: المرتجز، وهو الذي اشتراه من الأعرابي الذي شهد له به خزيمة بن ثابت. وقال سهل بن سعد: كان لرسول الله–صلى الله عليه وسلم–ثلاثة أفراس: لزاز – بكسر اللام وبزاءين – والظَّرِب – بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء، واللُّحَيف – بضم اللام وفتح الحاء المهملة: وقيل بالمعجمة، وقيل: النحيف – بالنون. فأما لزاز فأهداه له المقوقس، واللحيف أهداه له ربيعة بن أبي البراء، فأثابه عليه فرائض، والظَّرِب أهداه له فروة بن عمرو الجذامي. وكان له فرس يقال له: الورد، أهداه له تميم الداري ثم وهبه لعمر، ثم وهبه عمر لرجل، ثم وجد يباع.

وكان له-صلى الله عليه وسلم-بغلته دُلدُل – بضم الدالين المهملتين – يركبها في الأسفار، وعاشت بعده -صلى الله عليه وسلم-، حتى كبرت وذهبت أسنانها، وكان يجش لها الشعير، وماتت بينبع. ورُوِّينا في تاريخ دمشق من طرق أنها بقيت حتى قاتل عليها علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-في خلافته الخوارج. وكان له-صلى الله عليه وسلم-ناقته العضباء، ويقال لها أيضًا: الجدعاء. والقصواء، هكذا روينا عن محمد بن إبراهيم التيمي أن هذه الأسماء الثلاثة لناقة واحدة، وكذا قاله غيره، وقيل: هن ثلاث. وكان له حمار يقال له: عفير – بضم العين المهملة. وفتح الفاء – وذكره القاضي عياض بالغين المعجمة، واتفقوا على تغليطه في ذلك. مات عفير في حجة الوداع. وكان له في وقت عشرون لِقْحَة ومائة شاة. وثلاثة أرماح وثلاثة أقواس. وستة أسياف، منها: ذو الفقار. تنفلَّهُ يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد، ودرعان وترس، وخاتم، وقدح غليظ من خشب، وراية سوداء مربعة من نمرة، ولواء أبيض، وروي: أسود.

فصل: في خصائص رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في الأحكام وغيرها

وهذا فَصْلٌ نفيس، وعادةُ أصحابنا يذكرونه في أول كتاب النكاح، لأن خصائصه-صلى الله عليه وسلم-في النكاح أكثر من غيرها، وقد جمعتها في الروضة (مستقصاة) ولله الحمد، وهذا الكتاب لا يحتمل بسطها فأشير فيه إلى مقاصدها مختصرة – إن شاء الله تعالى -. قال أصحابنا: خصائصه-صلى الله عليه وسلم-أربعة أضرب:

الضرب الأول: ما اختص به رسول الله-صلى الله عليه وسلم-من الواجبات قالوا: والحكمة فيه زيادة الزلفى، والدرجات العلى، فلن يتقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل أداء ما افترض عليهم، كما صرح به الحديث الصحيح. ونقل إمام الحرمين عن بعض أصحابنا أن ثواب الفرض يزيد على ثواب النفل سبعين درجة، واستأنسوا فيه بحديث. فمن هذا الضرب: صلاة الضحى، ومنه: الأضحية، والوتر والتهجد، والسواك، والمشاورة. والصحيح عند أصحابنا أنها واجبات عليه. وقيل (سنن)، والأصح عند أصحابنا أن الوتر غير التهجد، والصحيح أن التهجد نسخ وجوبه في حقه-صلى الله عليه وسلم-كما نسخ في حق الأمة، وهذا هو المنصوص للشافعي رحمه الله قال الله تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ} [جزء من الآية ٧٩، سورة الإسراء]. وفي صحيح مسلم عن عائشة ما يدل عليه.

ومنه وجوب مصابرته على العدو وإن كثروا وزادوا على الضعف، ومنه قضاء دين من مات عليه دين لم يخلف وفاء، وقيل: كان يقضيه تكرمًا لا وجوبًا، والأصح عند أصحابنا أنه كان واجبًا، وقيل: كان يجب عليه-صلى الله عليه وسلم-إذا رأى شيئًا يعجبه أن يقول: «**لبيك إن العيش عيش الآخرة**».

ومن هذا الضرب في النكاح: أنه أوجب عليه تخيير نسائه بين مفارقته واختياره، وقال بعض أصحابنا: كان هذا التخيير مستحبًا والصحيح وجوبه، فلما خَيَّرَهُنَّ اخترْنَهُ والدار الآخرة، فحَرَّم الله عليه التزوج عليهن والتبدل بهن مكافأة لهن على حسن صنيعهنَّ. قال الله تعالى: {**لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ**} **[جزء من الآية ٥٢ سورة الأحزاب]**. ثم نسخ لتكون المنة لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-بترك التزوج عليهن، فقال الله تعالى: {**إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ**} الآية. **[جزء من الآية ٥٠، سورة الأحزاب]**. واختلف أصحابنا هل حرم طلاقهن بعد الاختيار؟ فالأصح أنه لم يحرم، وإنما حرم التبدل. وهو غير مجرد الطلاق.

الضرب الثاني: ما اختص به من المحرمات عليه ليكون الأجر في اجتنابه أكثر. وهو قسمان:

أحدهما: في غير النكاح، فمنه الشعر والخط، ومنه الزكاة، وفي صدقة التطوع قولان للشافعي، أصحهما أنها محرمة عليه. وأما الأكل متكئًا وأكل البصل والثوم والكراث فكانت مكروهة له غير محرمة في الأصح، وقال بعض أصحابنا محرمات. وكان يحرم عليه إذا لبس لامته أن يترعها حتى يلقي العدو ويقاتل، وقيل: كان مكروهًا، والصحيح عند أصحابنا تحريمه، وقال بعض أصحابنا تفريعًا على هذا: إنه كان إذا شرع في تطوع لزمه إتمامه، وهذا ضعيف، وكان يحرم عليه مدُّ العين إلى ما متع (الله) به الناس من زهرة الدنيا. (ويحرم) عليه خائنة الأعين، وهي الإيماء برأس أو يد أو غيرهما إلى مباح من قتل أو ضرب أو نحوهما، على خلاف ما يظهر ويشعر به الحال. وكان لا يصلي أولاً على من مات وعليه دين لا وفاء له، ويأذن لأصحابه في الصلاة عليه، واختلف أصحابنا هل كان يَحْرُمُ عليه الصلاة أم لا؟ ثم نسخ ذلك؟ وكان يصلي عليه ويوفي دينه من عنده.

القسم الثاني: في النكاح فمنه إمساك من كرهت نكاحه، والصحيح عند أصحابنا تحريمه، وقال بعضهم: (يفارقها تكرمًا)، ومنه نكاح الكتابية والأصح عند أصحابنا أنه كان محرمًا عليه، وبه قال ابن سريج وأبو سعيد الإصطخري، والقاضي أبو حامد المروروذي. وقال أبو إسحاق المروزي: ليس بحرام، ويجري الوجهان في التسري بالأمة الكتابية ونكاح الأمة المسلمة، لكن الأصح في التسري بالكتابية الحل، وفي نكاح الأمة المسلمة التحريم! وأما الأمة الكتابية فقطع الجمهور بأن نكاحها كان محرمًا عليه، وطرد الحناطي الوجهين، وفرع الأصحاب هنا تفريعات لا أراها لائقةً بهذا الكتاب.

الضرب الثالث: التخفيفات والمباحات وما أبيح له-صلى الله عليه وسلم-دون غيره نوعان:

أحدهما: لا يتعلق بالنكاح، فمنه الوصال في الصوم، واصطفاء ما يختاره من الغنيمة قبل القسمة من جارية وغيرها، ويقال لذلك المختار الصفي، والصفية، وجمعها صفايا، ومنه خمس (خمس الفيء) والغنيمة، وأربعة أخماس الفيء، ودخول مكة بلا إحرام، وإباحة القتال فيها ساعة دخلها يوم الفتح، وله أن يقضي بعلمه، وفي غيره خلاف، ويحكم لنفسه وولده، ويشهد لنفسه وولده. ويقبل شهادة من يشهد له، ويحيى الموات لنفسه، ولا ينتقض وضوؤه بالنوم مضطجعًا. وذكر بعض أصحابنا في انتقاض وضوئه بلمس المرأة وجهين (الأصح) المشهور الانتقاض. وفي إباحة مكثه في المسجد مع الجنابة وجهان لأصحابنا، قال أبو العباس بن القاس في التلخيص: يباح، وقال القفال وغيره: لا يباح، وغلط إمام الحرمين وغيره صاحب التلخيص في الإباحة.

وقد يحتج للإباحة بحديث عطية عن أبي سعيد، قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**يا علي لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك**». قال الترمذي: (هذا) حديث حسن، وقد يعترض على هذا الحديث بأن عطية ضعيف عند الجمهور، ويجاب بأن الترمذي حكم بأنه حسن فلعله اعتضد بما اقتضى حسنه.

وأبيح له أخذ الطعام والشراب من (مالكهما) المحتاج إليهما إذا احتاج هو-صلى الله عليه وسلم-إليهما، ويجب على صاحبهما البذل له-صلى الله عليه وسلم-وصيانة مهجته-صلى الله عليه وسلم-(بمهجته) قال الله تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} [جزء من الآية ٦ سورة الأحزاب]. واعلم أن معظم هذه المباحات لم يفعلها-صلى الله عليه وسلم-وإن كانت مباحة له. والله أعلم.

النوع الثاني: متعلق بالنكاح، فمنه إباحة تسع نسوة، والصحيح جواز الزيادة له-صلى الله عليه وسلم-ومنه انعقاد نكاحه بلفظ الهبة على الأصح، والأصح انحصار طلاقه في الثلاث، وقيل: لا ينحصر، وإذا عقد نكاحه بلفظ الهبة لا يجب مهر بالعقد ولا بالدخول بخلاف غيره، ومنه انعقاد نكاحه بلا ولي ولا شهود، وفي حال الإحرام على الصحيح في الجميع، وإذا رغب في نكاح امرأة خلية لزمها الإجابة على الصحيح، ويحرم على غيره خطبتها، وفي وجوب القسم بين أزواجه وإمائه وجهان: قال الإصطخري: لا يجب، فيكون من الخصائص، وقال آخرون: يجب فليس منها. وبنى الأصحاب أكثر هذه المسائل ونظائرها على أصل عندهم وهو أن نكاحه-صلى الله عليه وسلم-هل هو كالنكاح في حقنا أم كالتسري؟. وأعتق صفية وتزوجها، وجعل عتقها صداقها، فقيل: أعتقها وشرط أن ينكحها، فلزمه الوفاء، بخلاف غيره، وقيل جعل نفس العتق صداقًا، وصح ذلك بخلاف غيره، وقيل: أعتقها بلا عوض وتزوجها بلا مهر لا في الحال ولا فيما بعد، وهذا أصح، وذكر الأصحاب في هذا النوع أشياء كثيرة جدًا حذفتها.

الضرب الرابع: ما اختص به-صلى الله عليه وسلم-من الفضائل والإكرام: فمنه أن أزواجه اللاتي توفي عنهن محرمات على غيره أبدًا، وفيمن فارقها في الحياة أوجه، أصحها تحريمها، وهو نص الشافعي رحمه الله في أحكام القرآن، وبه قال أبو علي بن أبي هريرة: لقول الله تعالى: {وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}. [جزء من الآية ٦ سورة الأحزاب]. والثاني: تحل، والثالث: تحرم التي دخل بها فقط، فإذا قلنا بالتحريم؛ ففي أمة يفارقها بوفاة أو غيرها بعد الدخول وجهان. ومنه أن أزواجه أمهات المؤمنين، سواء من توفيت تحته ومن توفي عنها، وذلك في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن وطاعتهن وتحريم عقوقهن، لا في النظر والخلوة وتحريم بناتهن وأخواتهن؛ فلا يقال: بناتهن أخوات المؤمنين، ولا آباؤهن وأمهاتهن أجداد وجدات المؤمنين، ولا يقال: إخوتهن وأخواتهن أخوال وخالات المؤمنين، وقال بعض أصحابنا: يطلق اسم الإخوة على بناتهن، واسم الخؤولة على إخوتهن وأخواتهن، وهذا ظاهر نص الشافعي رحمه الله في مختصر المزني. وهل كن أمهات (المؤمنين) والمؤمنات؟ فيه وجهان لأصحابنا، أصحهما: لا، بل هن أمهات المؤمنين دون المؤمنات، وهو المنقول عن عائشة رضي الله عنها، بناءً على المذهب المختار لأهل الأصول: أن النساء لا يدخلن في ضمير الرجال.

وقال البغوي من أصحابنا: ويقال للنبي-صلى الله عليه وسلم-أبو المؤمنين والمؤمنات، ونقل الواحدي عن بعض أصحابنا أنه لا يقال ذلك؛ لقول الله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ} [سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٤٠]. قال: ونص الشافعي رحمه الله على جوازه، أي: أبوهم في الحرمة، قال: ومعنى الآية: ليس أحد من رجالكم ولد صلبه، وفي الحديث الصحيح في سنن أبي داود وغيره أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «**إنما أنا لكم مثل الوالد**». قيل: في الشفقة. وقيل: في ألا يستحيوا من سؤالي عما يحتاجون إليه من (أمور) العورات وغيرها، وقيل: في ذلك كله وغيره، وقد أوضحت ذلك كله في كتاب الاستطابة من شرح المهذب.

ومنه تفضـــيل نسائه-صلى الله عليه وسلم-على سائر النساء، وجعل ثوابهن وعقابهن ضعفين، وتحريم سؤالهن إلا من وراء حجاب، ويجوز في غيرهن مشافهة. وأفضل أزواجه خديجة وعائشة، قال أبو سعد المتولي: واختلف أصحابنا؛ أيتهما أفضل.

ومنه في غير النكاح:

أنه-صلى الله عليه وسلم-خاتم النبيين وخير الخلائق أجمعين، وأمته أفضل الأمم، وأصحابه خير القرون، وأمته معصومة من الاجتماع على ضلالة، وشريعته مؤبدة وناسخة لجميع الشرائع، وكتابه معجز محفوظ عن التحريف والتبديل، وهو حجة على الناس بعد وفاته، ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت ونصر بالرعب مسيرة شهر، وجعلت له الأرض مسجدًا وطهورًا، وأحلت له الغنائم، وأعطي الشفاعة والمقام المحمود، وأرسل إلى الناس كافة.

وهو سَيِّد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافعٍ وأول مشفع وأول من يقرع باب الجنة، وهو أكثر الأنبياء تبعًا، وأعطي جوامع الكلم، وصفوف أمته في الصلاة كصفوف الملائكة. وكان لا ينام قلبه، ويرى من وراء ظهره كما يرى من قدامه، ولا يحل لأحد أن يرفع صوته فوق صوته، ولا أن يناديه من وراء الحجرات، ولا أن يناديه باسمه فيقول: «يا محمد» بل يقول: «يا نبي الله، يا رسول الله»، ويخاطبه المصلي بقوله: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، ولو خاطب آدميًا غيره بطلت صلاته، ويلزم المصلي إذا دعاه أن يجيبه وهو في الصلاة، ولا تبطل صلاته.

وكان بوله ودمه يتبرك بهما، وكان شعره طاهرًا، وإن حكمنا بنجاسة شعر الأمة واختلف أصحابنا في طهارة دمه وبوله وسائر الفضلات. وكانت الهدية حلالاً له، بخلاف غيره من ولاة الأمور؛ فلا تحل (لهم) هدية رعاياهم على تفصيل مشهور، ولا يجوز الجنون على الأنبياء، ويجوز عليهم الإغماء؛ لأنه مرض بخلاف الجنون، واختلفوا في جواز الاحتلام، والأشهر امتناعه. وفاتته-صلى الله عليه وسلم-ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر، وواظب عليهما بعد العصر. وفي اختصاصه بهذه الملازمة والمداومة وجهان لأصحابنا؛ أصحهما وأشهرهما: الاختصاص. وقال و: «**تسمَّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي**». وفي جواز التكني بأبي القاسم خلاف أوضحته في الروضة وفي كتاب الأذكار. وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**كُلُّ سَبَبٍ وَنَسبٍ ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي**» قيل: معناه أن أمته ينسبون إليه وقيل ينتفع يومئذ بالانتساب إليه، ولا ينتفع بسائر الأنساب.

قال أصحابنا: ومن استهان أو زنى بحضرته كفر، كذا قالوه، وفي الزنى نظر، قال ابن القاصِّ والقفال المروزي: «ومن الخصائص أنه-صلى الله عليه وسلم-يؤخذ عن الدنيا عند تلقي الوحي، ولا تسقط عنه الصلاة، ولا غيرها». ومنه أن من رآه في المنام فقد رآه حقًا؛ فإن الشيطان لا يتمثل بصورته، ولكن لا يعمل بما يسمعه الرائي منه في المنام مما يتعلق بالأحكام إن خالف ما استقر في الشرع، لعدم ضبط الرائي لا للشك في الرؤية، لأن الخبر لا يقبل إلا من ضابط مكلف والنائم بخلافه.

ومنها أن الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء للحديث المشهور، ومنها قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن كذبًا على ليس ككذب على أحد**». قال أصحابنا وغيرهم: فتعمد الكذب عليه من الكبائر؛ فإن استحله المتعمد كفر، وإلا فهو كسائر الكبائر لا يكفر بها. وقال الشيخ أبو محمد الجويني، والد إمام الحرمين يكفر بذلك. والصواب الأول. وبه قال الجمهور. والله أعلم. واعلم أن هذا الضرب لا ينحصر، ولكن نبهنا بما ذكرناه على ما سواه.

ولنختم الفصل بكلامين:

أحدهما: قال إمام الحرمين: قال المحققون: ذكر الخلاف في مسائل الخصائص خبط لا فائدة فيه، فإنه لا يتعلق به حكم ناجز تمس الحاجة إليه، وإنما يجري الخلاف فيما لا نجد بدًا من إثبات حكم فيه، فإن الأقيسة لا مجال لها، والأحكام الخاصة يتبع فيها النصوص، وما لا نص فيه فالخلاف فيه هجوم على الغيب من غير فائدة.

الكلام الثاني: قال الصيمري: منع أبو علي بن خيران الكلام في الخصائص لأنه أمر انقضى، قال: وقال سائر أصحابنا: لا بأس به، وهو الصحيح، لما فيه من زيادة العلم.

هذا كلام الأصحاب، والصواب الجزم بجواز ذلك، بل باستحبابه، ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدًا، إن لم يمنع منه إجماع، لأنه ربما رأى جاهل بعض الخصائص ثابتًا في الصحيح، فعمل به أخذًا بأصل التأسي، فوجب بيانها لتعرف، ولا يشاركه فيها، وأيُّ فائدة أعظم من هذه؟

وأما ما يقع في أثناء الخصائص مما لا فائدة فيه اليوم فقليل جدًا لا تخلو أبواب الفقه عن مثله للتدرب ومعرفة الأدلة وتحقيق الشيء على ما هو عليه، كما يقولون في الفرائض، ترك مائة جده ونحو ذلك. وبالله التوفيق.

فهذا آخر ما انتخبته من نبذ العيون المتعلقة بترجمة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-حبيب رب العالمين. وخير الأولين والآخرين، صلوات الله عليه وسلامه، وعلى سائر النبيين. وآل كل وسائر الصالحين، وحسبي الله ونعم الوكيل.

..........والحمد لله رب العالمين.